

الحلقة الرابعة

أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن أمثال المخلص يسوع المسيح. ويقارن المثل بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم.

ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال، لإيضاح الحقائق الروحية، وليكشف الهدف الذي أتى من أجله إلى عالمنا. وكنا تكلمنا في اللقاءات السابقة عن مثل الخروف الضال، ومثل الدرهم المفقود، ومثل الابن الضال، وهي التي تشير جميعها إلى سعي الله للبحث عنا نحن البشر الخاطئة.

يُحكى أن أحدهم سأل أثناء سفره في سفينة أحد بحارتها: أتعرف شيئاً عن علم الفلك؟ أجابه لا. فقال له: ضاع ربيع عمرك. سأله ثانية: أتعرف علم الجيولوجيا: فأجاب: لا. قال له ضاع نصف عمرك. سأله ثالثة: أتعرف الفلسفة؟ أجاب: لا. قال له: ضاع ثلاثة أرباع عمرك. وصدف أن هبّت ريح عاصفة فامتألت السفينة ماء، وكادت أن تغرق. فسأل البحار الرجل: أتعرف السباحة؟ أجاب: لا. فقال له: إذن ضاع عمرك كله.

قد تكون هذه القصة معروفة لدى الكثيرين، لكنها تحمل معنىً بليغ. فهي تشير إلى أهمية أن يعرف الإنسان بعض الأمور دون الأخرى، لما لها من أثر على حياته. لكن، هل تعلم مستمعي أن البعض حتى وإن سمع عن الأمور الهامة التي تمس مصير حياته، قد لا يكثرث بها، ولا حتى يبذل جهداً لكي يعرف المزيد عنها، أو يحاول إختبارها. وهذه طبيعة البشر مع الأسف، إذ هناك من لا يرغب العمل بالنصائح التي تقدّم إليه، ظاناً بنفسه أنه إنسان حكيم.

وعن رد فعل الإنسان تجاه الحقائق الروحية التي تمس حياته تحدّث المخلص المسيح بمثل الزارع. وشبّه المسيح الزرع الذي يُزرع ببشارة الخلاص المفرحة. أما ردود أفعال البشر نحو هذه البشارة، فلقد شبّهها بأربعة أنواع من أنواع التربة.

بدأ المخلص المسيح هذا المثل بقوله: «هُوَذَا الزَّرْعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ». لقد شبه المسيح هنا حامل رسالة الإنجيل بالزارع، أما الزرع الذي يزرعه فهو يشير إلى بشارة الخلاص المفرحة التي يعلنها على الناس. وكما ذكرنا، فلقد تحدّث المسيح عن أربعة ردود، أو أربعة أصناف من البشر، تجاه هذه البشارة.

تحدّث المسيح عن الصنف الأول من البشر فقال: «وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَاءَتِ الطُّيُورُ وَأَكَلَتْهُ» وشرح بعدئذ لتلاميذه ماذا قصد فقال: «كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ كَلِمَةَ الْمَلَكُوتِ وَلَا يَفْهَمُ، فَيَأْتِي الشَّرِيرُ وَيَخْطِفُ مَا قَدْ زُرِعَ فِي قَلْبِهِ. هَذَا هُوَ الْمَرْزُوعُ عَلَى الطَّرِيقِ». إذن هناك من يسمع بشارة الخلاص، ولا يفهم أي شيء منها، ولا يستطيع استيعابها. وقد علّل المسيح ذلك بأن الشرير يأتي ويخطف ما قد زرع. فكثيرون من الناس عندما يسمعون بشارة الخلاص المجاني، يبدو وكأنهم يسمعون لغة أجنبية لا يفهمونها، ولهذا نراهم لا يتجاوبون البتة مع هذه البشارة.

وعن الصنف الثاني من البشر، قال المخلص المسيح: «وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الْأَمَاكِنِ الْمُحْجَرَةِ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ تَرْبَةٌ كَثِيرَةٌ، فَنَبَتَ حَالًا إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عُمُقٌ أَرْضٍ. وَلَكِنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ احْتَرَقَ، وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ جَفَّ». وشرح عن هذا الصنف فقال: «وَالْمَرْزُوعُ عَلَى الْأَمَاكِنِ الْمُحْجَرَةِ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، وَحَالًا يَقْبَلُهَا بِفَرَحٍ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي ذَاتِهِ، بَلْ هُوَ إِلَى حِينٍ فَإِذَا حَدَّثَ ضَيْقٌ أَوْ اضْطِهَادٌ مِنْ أَجْلِ الْكَلِمَةِ فَحَالًا يَعْثُرُ». وهذا النوع من الناس نراه في الأشخاص الذين يسمعون بشارة الخلاص ويقبلونها بفرح، لكنهم غير مستعدين أن يدفعوا الثمن. فإذا تعرّضوا لأي اضطهاد، أو حتى لإستهزاء الناس بهم نراهم يتراجعون.

ثم تحدّث المسيح عن الصنف الثالث من البشر فقال: «وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الشَّوْكِ، فَطَلَعَ الشَّوْكَ وَخَنَقَهُ». وأوضح المسيح قائلاً: «وَالْمَرْزُوعُ بَيْنَ الشَّوْكِ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، وَهَمُّ هَذَا الْعَالَمِ وَعُرُورُ الْغِنَى يَخْنَقَانِ الْكَلِمَةَ فَيَصِيرُ بِلَا ثَمَرٍ». هؤلاء هم الذين يسمعون بشارة الخلاص، لكن همومهم الكثيرة، وسعيهم لجمع المال، يجعلان كلمة الله بلا ثمر في حياتهم.

أما الصنف الرابع والأخير من البشر، فقد قال عنهم المسيح: «وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الْأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَأَعْطَى ثَمَرًا، بَعْضٌ مِئَةً وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلَاثِينَ». وقد شرح المسيح قائلاً: «وَأَمَّا الْمَرْزُوعُ عَلَى الْأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَهُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَيَفْهَمُ. وَهُوَ

الَّذِي يَأْتِي بِثَمَرٍ، فَيَصْنَعُ بَعْضُ مِئَةٍ وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلَاثِينَ» (بشارة متى ١٣: ٣-٩، ١٨-٢٣). من الواضح أن هؤلاء هم الأشخاص الذين يتجاوبون مع بشارة الخلاص المفرحة، وعمل الروح القدس في قلوبهم، فيؤمنون بالمخلص المسيح، ويعمل الفداء الذي قام به من أجلهم على الصليب. وهكذا ينالون الغفران عن خطاياهم، ويصبحون خليفة جديدة. أي يظهر الثمر في حياتهم.

مستمعي الكريم، من أي صنف من البشر أنت؟ هل أنت من الصنف الأول الذي لا يريد أن يسمع أو يفهم بشارة الخلاص؟ أم من الصنف الثاني الذي هو غير مستعد أن يدفع الثمن ويواجه الضيقات والآلام؟ أم من الصنف الثالث الذي يترك هموم العالم وغرور الغنى يخنقان كلمة الله؟ أم تراك من الصنف الرابع والأخير الذي يتجاوب مع عمل روح الله القدوس وبشارة الخلاص المفرحة ويؤمن بها؟ أرجو أن تكون من هذا الصنف الرابع الذي يقبل نعمة الله في حياته وخلصه المجيد. وهكذا تأتي بالثمر الوفير.

إن السؤال الذي نريد أن نتركه معك صديقي هو: أتعرف المسيح المخلص؟ إن معرفتك بأمر شتى قد يفيدك لبعض الوقت، ويساعدك لبعض الشيء. لكن المعرفة الحقة هي معرفة خلاص المسيح. فإن عرفت كل شيء ولم تعرف المسيح، فقد ضاع عمرك كله هنا على الأرض، وضاع مستقبلك الأبدي. إن الموضوع مهم جداً ويمس حياتك، فلا تتهاون في هذا الأمر. فأنت بحاجة لكي تحصل على غفران خطاياك. وهذه هي البشارة المفرحة أن الله أرسل المسيح لكي يموت عوضاً عنك على الصليب. وعندما تتوب وتؤمن به تتال الغفران وتحظى بالخلود. فهل تراك مستمعي تؤمن برسالة الإنجيل المفرحة؟